سبل النهوض بالشباب

أ. م. د. رواء زكي يونس الطويل
مركز الدراسات الاقليمية
جامعة الموصل/ العراق

مقدمة

اِنّ خير ما تعتد به الأُمم في حربها وسلمها هو الشباب، فهو في حاضرها درعها الواقي وقوتها الضاربة وهويتها الفائزة. وطاقتها المحركة ولسانها الناطق وعقلها المتحرك. ووعيها المتحفز وعواطفها الجياشة وفي مستقبلها حامل مسؤليتها، قال تعالى في كتابه الكريم "رجال لا تلهيهم تجارة ولابيع عن ذكر الله واِقام الصلاة واِيتاء الزكاة يخافون يوماً تتقلَّب فيه القلوبُ والأبصار"(١)، وقال تعالى" وسيرى الله عملكم ورسولُهُ ثم تُرَدُّون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون"(٢).

وتعتني أغلب الأُمم بمرحلة الشباب عقلياً وعلمياً وثقافياً وروحياً واجتماعياً وبدنياً وعسكرياً. فهي المطمئنة على مستقبلها وكيانها وآمالها. وتستمد عناية الامم بهذه المرحلة من وضع المناهج التي تعد الشباب وتحتويه وتحميه. فتعتمد الامم في تنفيذ مناهجها على من يؤمن بها وبخطورة مسؤوليتهِ حيالها، وبوجوب تهيئة نفسه بها وتفانيه في خيرها، واِبعاد الانتهازيين والمستغلين عن مسيرتها، لأَنَّ من يعيش لنفسه وهو في موقع القيادة سيكون خطراً على ما ترسمه الدولة أُو ترجوه، قال تعالى" إِنَّا عرضنا الأَمانةَ على السمواتِ والأَرضِ والجبال فأبين أَنْ يحملنها وأَشفقن منها وحملها الانسان اِنَّهُ كان ظلوماً جهولاً"(٣).

اِنَّ على الشباب المسلم الاستعداد للمواجهة والتصدي للاخطار التي تحدق به وببلاده وقد عمل النبي محمد صلى الله عليه وسلم على بناء الشباب واِعدادهم في مواجهة التحديات، وذلك بالتزام طاعة الله وعبادته فقال صلى الله عليه وسلم "سبعةٌ يُظِلُّهُم اللهُ في ظِلِّهِ يوم لاظِلَّ إِلاَّ ظِلُّه إِمامٌ عادل، ورجلٌ معلَّقٌ قلبه في المساجد، وشابٌ نشأ في

عبادة الله عزَّ وجلَّ ورجلان تحابّا في الله فاجتمعا عليه وتفرَّقا عليه ورجل دعته امرأة ذات حسن وجمال فقال اِنِّي أخاف الله ربَّ العالمين ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لاتعلم شماله ماأنفقت يمينه ".

ويتحتّم يتحتم على الشباب اغتنام الفرص لتكوين شخصيته روحياً وجسمياً ونفسياً وعقلياً وخلقياً، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " اغتنم خمساً قبل خمسٍ : حياتك قبل موتك، وصحتك قبل سقمك، وفراغك قبل شغلك، وشبابك قبل هرمك، وغناك قبل فقرك "، أضف إلى ماسبق عصمة نفوس الشباب من الميوعة والانحلال، وإحصانها بالزواج، قال رسول االله صلى الله عليه وسلم " يامعشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فأنَّهُ أغضُّ للبصر وأحصن للفرج "، كذلك محاسبة الشباب لأنفسهم ومعرفة مسؤولياتهم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " لا تزول قدما عبدٍ يوم القيامة حتى يسأل عن أربع : عن عمره فيما افناه وعن شبابه فيما ابلاه وعن ماله من اين اكتسبه وفيما انفقه وعن علمه ماعمل به ".

هناك في معظم الأمم وعلى مر الأزمان جنود مجهولة تعمل لخير أمَّتها في دأب واخلاص يحثهم حب العمل والضمير الحي والرغبة في حث الامة على العمل الخالص بعيداً عن الاضواء، عرفتهم الامم ام لم تعرفهم، قدرهم المسؤولون أم لم يقدروهم، ولكن هولاء قد تنتكس نفوسهم حين يرون زمام الامور في قبضة نفوس تحركها الاهواء، لاتقيم للعدل ميزاناً ولا للعاملين وزناً.اِنَّ تقدير العامل من الشباب يحيي روح التنافس، ويضاعف العمل ويقوي روح الاخلاص، ويبعث الثقة، وللثقة أثرها في تقوية الروح المعنوية وحملها على المزيد من الجهد.

لقد أوصى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالشباب خيراً اِذ قال : " أُوصيكم بالشباب خيراً فإنَّهم أرقُّ افئدةً لقد بعثني الله بالحنيفية السمحة فحالفني الشباب وخالفني الشيوخ ". اِنَّ على الشباب الاستقامة على منهج الاسلام وعلى تقوى الله، قال تعالى " ولكلٍّ درجاتٌ مِمّا عملوا وليوفيهم اَعمالهم وهم لايظلمون"[٤]، وقال اَيضاً " فمن يَعْمَلْ مثقالَ ذَرّةٍ خيراً يره ومن يعمل مثقال ذَرّةٍ شراً يره"[٥].

مشكلة البحث:

الاسلام دين توحيد خالص،دين لايؤمن بالوساطة بين العبد وربه ولا بمشهود محسوس يركز عليه الانسان تفكيره ويصرف اِليه همته ليتخيل به الاله الذي لاتدركه الابصار ويرتبط به في خياله ويتمسك بأذياله، فلا وسائط ولا مظاهر ولا صور ولا أصنام ولا هياكل و طبقة كهان ولا سدنة "واِذا سألك عبادي عني فانِّي قريبٌ أُجيب دعوة الداع إذا دعان فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي لعلَّهم يرشدون"[٦]، " فاعبدِ اللهَ مخلصاً له الدين. ألَا لله الدينُ الخالصُ والذين اتخذوا من دونه أولياء مانعبدهم الاَّ ليقربونا اِلى الله زُلفى".

اِنَّ من المخاطرالتي تهدد الشباب حالياً العولمة والغزو الثقافي والتي تعود في نشأتها واستمرارها وتسارع خطاها للتطور التكنولوجي[٧]، واذا كانت التكنولوجيا مجرد وسيلة لاشباع الحاجات الانسانية[٨]، اِلاَّ أنهَّا الآن قد يترتب عليها طمس الهوية الثقافية لشباب الامة الاسلامية للعديد من الامم[٩]. وقد ينكر البعض ذلك بحجة مجاراة متطلبات العصر، في حين يعجزون عن تقديم البديل الذي يحقق النهضة مع الحفاظ على هوية الامة الاسلامية [١٠].

فالاسلام دين يطلب تجرداً في الخيال وسُمُّواً في الفكر ونقاءً في الارادة والنية، واِخلاصاً في العمل والتطبيق وانقطاعاً عن الغير، لا يتصور فوقه اِكثر منه، ومستوى في الفكر والعقيدة لم تبلغ الانسانية اِلى مثله وقد وصف الله نفسه بما لامزيد عليه في الدقة والسمو فقال: " ليس كمثله شيء وهو السميع البصير".لكن الفطرة البشرية هي الفطرة البشرية فالشباب ما يزال هو الشباب باحث عن شيء يراه بعينه فيوجه اِليه اَشواقه ويقضي به حنينه ويشبع به رغبته الملحة في التعظيم والدنو.

اِنَّ مجتمع التكنولوجيا الحديثة يشكل تحدياً لشباب الامة الاسلامية[١١] اِذْ يفرض ثقافة البلوجينز والهمبرغر، لذا وجب تجاوز الجانب النظري وتشخيص الواقع باعتبار أنَّ اَهم ملامحه السيطرة على المعرفة والمعلوماتية وتجاوز الصناعات الالكترونية الدقيقة[١٢] ذات الكلفة الباهظة نحو صناعات التحكم في الفضاء، فالعولمة ليست فقط لتلبية حاجات المجتمع الاقتصادية والتقنية واِنَّما تتجاوز ذلك الى الحاجات الروحية والثقافية[١٣]، وهذا ما انتبه له وزير الخارجية الكندي الاسبق فولكز حين قال : لئن كان الاحتكار اَمراً سيئاً في

صناعة استهلاكية فإنَّه اَسوأ اِلى اَقصى درجة في صناعة الثقافة اِذْ لايقتصر الأمر على تثبيت الاسعار واِنَّما تثبيت الأفكار اَيضاً[١٤].

أهمية البحث:

اِنَّ خير قدوة يقتدي بها الشباب هي شخصية المصطفى صلى الله عليه وسلم فقد أدب الله نبيه وصنعه على عينه منذ نشأ في مكة، فأدب النبي أُمتَّهُ وصنعها على عينه منذ بعث،وقد حدثت عائشة رضوان الله عليها عن تربية الرسول محمد صلى الله عليه وسلم فقالت: " كان خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم القرآن ". تلقاه من ربه فأدب به وحمل نفسه على العمل به قبل أن يحمل غيره،وبنى به نفسه قبل أن يبني به سواه ليكون في عمله لِاُمتُّهُ القدوة الصالحة والاسوة الحسنة.

أصاخ اِلى أمر الله : "خذ العفو وامر بالعرف واعرض عن الجاهلين " فكان خير مثل لامته في العفو عند المقدرة حين قام على رأسه احد الاعداء بالسيف في غفلة من أصحابه فقال له : من يمنعك مني ؟ فقال الرسول محمد صلى الله عليه وسلم : الله، فسقط السيف من يد الرجل فالتقطه الرسول وقال للرجل : من يمنعك مني ؟ فقال الرجل : كن خير آخذ، قال الرسول : قل أشهد اَنْ لا اله اِلاَّ الله وأني رسول الله، فقال الرجل : لا. غير أني اقابلك ولا أكون معك، ولا أكون مع قوم يقاتلوك فخلَّى الرسول سبيله، فعاد الرجل اِلى اَصحابه فقال لهم : جئتكم من عند خير الناس.

وقد أكمل الله بناء نبيه فكان أشجع الناس وأعدلهم وأسخاهم وأصبرهم على الجوع والمكاره، وأشدهم تواضعاً، وأرحمهم بالفقراء والمساكين. بل لقد اجتمعت فيه مكارم الاخلاق كلها فلو تجسمت فضيلة من الفضائل لكانت محمداً (صلى الله عليه وسلم) وبكلِّ الآداب الاسلامية أدَّبَ اَصحابه وبأخلاق القرآن بنى نفوسهم ففتحت اَخلاقهم البلاد قبل تفتحها سيوفهم ودانت لاخلاقهم القلوب قبل أن تدين للرماح الاعناق وما أكثر الوصايا التي وصى بها الرسول محمد (صلى الله عليه وسلم) وخلفاءه القواد المحاربين بألاَّ يقاتلوا الشيوخ والاَطفال والنساء والضعفاء.

هدف البحث:

يهدف البحث الى دراسة دور الشباب في المجتمع والمخاطر التي تهدده و يدرس دور الشباب في عملية التنمية، فعندما يكون مناخ المجتمع الذي يعيش فيه الشباب سالماً فأنَّ الفرد الذي يتخرج من هذا المجتمع يكون سالماً وصالحاً، وبالعكس عندما يكون المناخ الاجتماعي فاسداً فأِنّ الفرد سيتربى على الفساد والافساد، وحتى الذين يريدون اِصلاح اَنفسهم لايجدون اِلاَّ فرصاً ضئيلة لاصلاح اَنفسهم في المجتمعات الفاسدة.

ويهدف البحث ايضاً الى دراسة الشباب ودوامة العولمة، والآن وفي ظل تحديات الغزو الفكري اِذ يرفع الغرب مبادئ الرأسمالية في مجال الاقتصاد ومبادئ الديمقراطية في مجال السياسة،ومبادئ الحرية والتحرر التي اقتربت من الفوضى والاباحية في مجال الاجتماع عبر قنوات التواصل الحضاري، وتجعل المجتمع الاسلامي منفصلا عن قيمه ومثله ومبادئه واخلاقه، والسبب في ذلك ان رسالة الاسلام تغزو العقول والافكار، وتنتشر في الكون بسرعة، فيدخل فيها الناس عن طواعية واختيار لأَنَّها تمتاز بالربانية، والخلود، والعالمية، والشمولية، والانقلابية، ومعطياتها التشريعية.

خصائص مرحلة الشباب :

تتصف مرحلة الشباب بصفات عدة اهمها :.

اَوّلاً: من الناحية النفسية يكون الشاب سريع الانفعال، شديد الاندماج، ذا مؤهلات قوية، طموحاً، يحب التقدم والتفوق والظهور ويحاول اَن يبرز في كلِّ عمل يقوم به. وتسير الشخصية في طريقها الى التكامل بشكل تدريجي يسمح للمربي بالمراقبة والتوجيه ، ويدخل الشاب معترك الحياة في اَواسط هذه المرحلة،ويمرُّ بتجارب تكسبه خبرة مواجهة اَعباء الحياة [١٥].

ثانياً: النمو الجسمي في الفترة الاولى[١٦] من مرحلة الشباب يأخذ اشكالا متنافرة مما يدفع شاب هذه الفترة الى القلق والاضطراب اذا لم يجد من يعينه على تقبل اوضاع التغير الجسمي وادراكا لحقيقة نموه. اما في الفترة العمرية الثانية[١٧] من هذه المرحلة يصبح النمو الجسمي اكثر اتزانا واستقرارا فيتلائم نمو العضلات مع نمو العظام ويستقر صوت الشاب ويتناسق شكل الانف مع الوجه وتأخذ افرازات الغدد شكلا اكثر طبيعية. ويظهر

كل ذلك على شخصية الشاب فيظهر اكثر استقرارا واكثر ثقة مع نفسه ومع المحيطين به.

ثالثاً: في المرحلة الاولى يتجه الشاب الى الاستقلالية والتي قد يخيل للبعض انها تمردا والحقيقة انه حينما ينتقل من العلاقات الاسرية الى علاقات الاصدقاء والزملاء انما يبحث عن السلطة في هولاء الاصدقاء والزملاء. ان تقبله لسلطة الجماعة وضوابطها حتى وان كانت لاتتفق مع رغباته الذاتية، يجد فيها السلطة المحببة الى نفسه والتي تهيئ له استقلالا ذاتيا وابرازا لكيانه الاجتماعي. وفي الفترة الثانية من هذه المرحلة يبدو الشاب اكثر موائمة بين علاقاته الجديدة والقديمة ويعيد للاسرة ثقتها وسلطتها الاجتماعية في ارتباطه بها ويتجه في علاقته مع الاصدقاء والزملاء الى المنطق اكثر منه الى الانفعال العاطفي(١٨).

رابعاً: يبدو الشاب في الفترة الاولى متبرما من الاوضاع المحيطة به. ويعلن تمرده في صورة عدم تقبل للاراء ة والافكار والاتجاهات التي تعيش فيها اسرته او مدرسته او مجتمعه او عمله. ويصبح عرضة لجذب القوى التي تنادي بتغيير الاوضاع. الا ان تصرفاته تصبح اكثر تعقلا فتربط بين الاسباب والمسببات وتتخذ القرارات في ضوء فكر منطقي اذ يفكر بعمق في هذه الاوضاع بعد ان يكون قد وصل الى مستوى من المعرفة تجعله اكثر قدرة على نقدها نقدا عاما وذاتيا.

خامساً: تبدأ مرحلة الشباب بميل شديد الى الانطلاق في المجتمع والاسهام في نهوضه ولكن ذلك يبدو له صعبا ولايدري من اين يبدأ وباي اسلحة. الا انه في الفترة الثانية يجد فرصته لممارسة الاصلاح الاجتماعي بعد ان يكون قد ادرك مجالات هذا الاصلاح بفضل ما اكتسبه من معرفة تعليمية اَو عن طريق ممارسته الفعلية للحياة المهينة والاجتماعية(١٩).

سادساً: ينطلق الشباب في الحقبة الاولى من حياته نحو الجماعة ويضحي من اَجلها ويتفانى في الانتماء اِليها وقد يضحي بالمجتمع في سبيل الجماعة اذا لم يوجه التوجيه السليم. وفي الحقبة الثانية ينتقل الشاب تدريجياً من سلطة الجماعة الى سلطة المجتمع وتصبح الجماعة أداة لانتمائه الى المجتمع أكثر منها غاية في ذاتها.

سابعاً : يرغب الشاب في الحقبة الاولى ممارسة وتنفيذ عديد من المشروعات والنرامج. فهو يريد أن ينتهي من مرحلة التعليم ليمارس ذلك وهو يسير بسرعة خلال هذه المشروعات والبرامج ثم يبطئ وقد يتوقف تماماً قبل الانتهاء من تنفيذها. بينما يلاحظ في الحقبة الثانية يعمل على الانتهاء من برامجه ومشروعاته. لذا وجب تشجيعه في الحقبة الاولى ثم الاثارة وبالتالي مزيد من الانتاج في الحقبة الثانية.

ثامناً : يمارس الشاب الأنشطة الترويحية الرياضية والاجتماعية والفنية وغيرها بقصد النمو بذاته الاجتماعية لذا فبطولات هذه المرحلة تتسم بالذاتية المرتبطة بالتعلق بالمجتمع كمثير أساس لها. اَمَّا الحقبة الثانية فيتسم الترويح فيها بالشكل الاجتماعي(٢٠).

تاسعاً : تبدأ المرحلة باحلام يقظة غير واقعية تتجه بالشاب اِلى تحقيق رغبات وآمال مكبوتة لاتحددها امكانيات اَو نوازع خلقية اَو اجتماعية، وتتحول هذه الاحلام في الحقبة الثانية الى آمال اكثر واقعية اِذْ تتضح له اِمكانياته وتتسع خبراته.

عاشراً: يفكر الشاب في المهنة التي يرغب العمل فيها أواِنْ كان يعمل حقاً فهو يريد تحسين العمل لتوفير احتياجاته الذاتية، وفي الحقبة الثانية يواجه ظروفاً جديدة بالنسبة له أهّمها تكوين اَسرة لذا يجد نفسه مطالب بالاستقرار في المهنة وزيادة كسبه.

حادي عشر: يفكر الشاب في الحقبة الاولى في الأسرة التي يرغب في تكوينها وقد يمارس علاقات عاطفية كمقدمة لهذا التكوين. اَمّا في الحقبة الثانية من هذه المرحلة فعادة ما تتشكل أُسرته الجديدة ويجد نفسه اَمام مسؤوليات اجتماعية. وقد تتعثر علاقاته الأُسرية في بداية حياته. لذا يتطلب توجيهاً صالحاً لتدعيم تماسك الاسرة.

<u>شخصية الشباب والنضج الاجتماعي:</u>

عند ذكر الشباب سرعان ما يتبادر اِلى الذهن صورة الانسان الممتلئ بالقوة والحيوية المسؤول عن تصرقاته وسلوكه. وتتشكل هذه الصورة في اِطار عمر زمني يتفاوت تقدير مداه انكماشاً وامتداداً في ضوء الأوضاع الاجتماعية السائدة، اِنَّ

المجتمعات المتقدمة والنامية تسعى اِلى اطالة مرحلة الشباب باعتبارها مرحلة الفتوة والنضج التي تحتاجها مثل هذه المجتمعات للنهوض بحياتها الاجتماعية والاقتصادية، لذا فالمعيار الزمني الجاري استخدامه لتحديد مرحلة الشباب يعاني من قصورفي تحديد مدى محدد موحد لهذه المرحلة نتيجة تعرضه لمؤثرات اجتماعية متنوعة من مجتمع الى اخر[٢١].

اَمَّا معيار النضج الاجتماعي أي عد مرحلة الشباب مجموعة المواصفات الاجتماعية، فِانَّ هذا المقياس على الرغم من اَنَّهُ لايعتمد على سن معينة فقد تمتد هذه الصفات مع الناس إلى ما بعد الستين اَو تظهر في الأربعين اَو قد تتضح في سن مبكرة، فاِنَّهُ بعوامل اجتماعية قد تختلف من مجتمع الى اخر، ويقوم التوزيع الجغرافي للسكان بدور في ثباتها او زوالها او انحرافها، وخاصة توزيعه بين سكان المدن وسكان الريف في تركيب القوى العاملة من ناحية كفاءتها [٢٢].

ويقصد بهذا المعيار مجموعة من الصفات الاجتماعية التي تشكل مستوىً اجتماعياً اذا ما وصل اليها الانسان أصبح شاباً واذا فقدها انتقل اِلى مرحلة عمرية اخرى. ويتشكل هذا المعيار من مجموعة من الصفات اِهمها قدرة الانسان على التعلم وتكوين العلاقات الانسانية والتكيف الاجتماعي والعمل المنتج [٢٣].

اِنَّ شخصية الانسان هي محصلة تفاعل قوى موروثة مع قوى اجتماعية مكتسبة. فالانسان يولد بقدرات عقلية وحركية وقابلية على النمو وهيكل بدني وغيرها من العناصر الموروثة ثم يتدرج هذا الانسان في مجتمع يبدأ بالاسرة ثم الجيرة فالاصدقاء فالمدرسة فالمؤسسة الاجتماعية فالمنظمة السياسية فالعمل وغيرها من وحدات المجتمع[٢٤]، فتتفاعل قواه الموروثة مع الظروف الاجتماعية فتحدد شخصيته في ضوء تفاعل القوى السابقة، وترتبط المحصلة بحقائق مهمة في تشكيل حياته وعلاقاته وهي:

١. اِنَّ الانسان حين ينتقل من مرحلة الى أخرى تتم خلال كل من هذه المراحل عمليات تنشئة اجتماعية فالتنشئته الاجتماعية عملية مستمرة، اِذْ تتمثل شخصية الفرد كثيراً من المؤثرات تشكلها وتنقلها الى المراحل التالية التي تصبُّ فيها مؤثرات مستمرة تمكنها من تنمية الشخصية الانسانية او تعديلها في اطار الاوضاع الاجتماعية التي

يعيشها الانسان. كذلك مرحلة الشباب يمكن خلالها تنمية شخصية الانسان او تعديل ما اصاب هذه الشخصية من سلوك.

٢. قد يبدو انَّ مرحلة الشباب ترتبط بمظاهر نمو مفاجئة جسمية وعقلية واجتماعية ونفسية ولكن الحقيقة ليست كذلك فقط وإنَّما هو تحوله عن مظاهر تختلف عن مظاهر ما سبق اَو ما سيلحقه من مراحل نمو وبالنتيجة فمشكلات هذه المرحلة تظهر طبقاً لامكانيات المجتمع على مقابلة مظاهر نمو الشباب وليس قياساً الى نمو الشباب.

٣. يجب إدراك حقيقة مهمة عند رعاية الشباب اَو توجيهه في الدراسة اَو العمل المناسب إنَّ هناك تفاوتاً بين شاب وآخر في قدراته الجسمية والعقلية والنفسية في نفس المرحلة بالرغم من تشابه مظاهر نموهم.

٤. إنَّ مرحلة الشباب هي اَشُّد مراحل العلاقات الجماعية في حياة الانسان فالجماعة بالنسبة له هي المجتمع الاساسي الذي يستقي منها اخلاقياته وسلوكياته وبمعنى آخر هو معرض لذوبان شخصيته في إطار الجماعة، فهو يقبل عليها ويتقبلها بصورة فريدة من نوعها.

٥. في مرحلة الشباب يتداخل اَعداد الانسان لتحمل المسؤولية عن طريق التعليم واكتساب المعرفة مع ممارسته للمسؤولية عن طريق العمل والمهنة وتكوين الاسرة والمشاركة الاجتماعية فقد يتعلم الانسان تعليماً منظماً عن طريق المدرسة ثم ينتقل إلى المهنة فالاسرة الجديدة وقد لا يتسع له المجال خلال هذه المرحلة للتعليم فيبدأها بالعمل والانتاج.

الشباب في دوامة العولمة وعصر المعلوماتية:

إنَّ الاعلام هو رأس الحربة المؤثر على مستقبل الوجود القومي للشعوب والامم العربية بصفة خاصة، بالاضافة الى اَنَّ العولمة واقع معاش ويرى الكثير من الافضل ليس البحث عن وسائل مقاومتها وإنَّما كيفية التعامل مع مقتضياتها وخاصة في مجالي الثقافة والاعلام[٢٥]، فضلاً عن اَنَّ النظام الرأسمالي عزز هيمنته عبر ثورة المعلومات والتقنية المعاصرة إذْ تكرس نمط الانتاج الرأسمالي مما ساعد على تركيز الثروة في

مؤسساته وقواه الطبقية[٢٦] وعَدَّ الاعلام من اهم الوسائل التي بإمكانها انْ تقوم بدورٍ فاعل في السياسات الاجتماعية ذات العلاقة بعمليات التغيير[٢٧].

اِنَّ دمج الاعلام والمعلومات في اطار العولمة التي تصب في دعم اَسُس النظام العالمي الجديد، مما ينتج عنه التأثير في البنى الثقافية للشعوب بصورة سلبية اِذْ يتم توظيف الاعلام لتوسيع هذه الفجوة والقضاء على الاعلام الجماهيري وترويج الاعلام الفئوي[٢٨]، فضلاً عن اَنَّ الاعلام اَصبح وسيلةً يتمُّ توظيفها لخدمة منطق العولمة واختراق السيادة القومية واِشاعة الثقافة الاقتصادية وثقافة قيم، وعليه لابدَّ من الاهتمام بالاعلام الذي يُعَدُّ الاساس لمجتمع العولمة وتوظيفه لصالح الحفاظ على الثقافة العربية ومما فيها من المسج[٢٩].

اِنَّ العراق ليس مجرد اَرض وشعب، لابل اِنَّهما معاً دلالة عنصرية التفاعل المنجز ما بين خبرة تأريخية متراكمة واِدارة اِنسانية رشيدة منحت المكان والانسان هويته المميزة، ولذلك قال الحكماء العرب والمسلمون اِنَّ العراق جمجمة العرب، وقال قدماؤه. اِنَّ من يملك العراق يملك الجهات الاربع، وقال ارنولد توينبي: اِنَّ العراق مركز الأرض، وأشار جون فوستر دالاس وزير خارجية امريكا الاسبق الى ان العراق هو اَخطر بقعة على الارض[٣٠].

ان صورة النشاط الاقتصادي في العراق لم تكن مطمئنة بسبب ما عانته من مشكلات وخاصة تلك التي خلقتها ظروف الحصار الذي طال لأكثر من اثنتي عشرة سنة[٣١]، وكان من المتوقع والمعلن اَنَّ قوات الاحتلال الامريكي ستأتي بحلول ومعالجات سريعة، واَنْ توفر المناخ الملائم للاقتصاد العراقي ليعاد تفعيله واِنقاذه من التدهور الذي عاناه خلال التسعينات، ولكن لم تتخذ اَيَّةُ اجراءات يمكن ان يستشف منها بأَنَّ العراق قد وقف على الطريق الصحيح، فضلاً عن ظهور بعض المشكلات كانت على العكس مِمّا توقّعهُ الناس من دولة عظمى تتجه نحو قيادة العالم ومن الوعود التي اَعلنت حول مستقبل العراق الجديد، مما تسبب في حالة احباط لدى الكثير من الشباب.

اِنَّ عدم عودة مؤسسات الدولة اِلى عملها الطبيعي وبخاصة دوائر الامن والشرطة زاد من حالة الفوضى التي عمت بغداد ومدن العراق بعد الحرب. فأنَّ غياب

السلطة وعدم ايقاف المتجاوزين على القانون عند حدهم، شجع الاخرين على القيام بأعمال السلب والنهب والسطو المسلح على السيارات وبشكل مفضوح من دون خوف من أيٍّ احدٍ. فكيف يمكن أنْ يبدأ أي نشاط اقتصادي تحت مثل هذه الظروف، اِذا انتشرت ظاهرة (سوق الحرامية) يبيعون كل ما سرقوه من الدولة وغيرها علناً وهم مسلحون لايأبهون بما يقومون به.

لقد اَدى استشراء ظاهرة الشركات المتعددة الجنسيات،مع سيطرتها على الاستثمار والانتاج والتجارة الدولية والخبرة التكنولوجية مثل شركات IBM، ومايكرو سوفت وغيرها، خاصة بعد أن ساوت منظمة التجارة العالمية بين هذه الشركات، والشركات الوطنية في المعاملة[٣٢]، وقد ارتبط مفهوم الالكترونيات وتجارتها بالعولمة، فقد جاء في تعريف العولمة انها نظام عالمي جديد يقوم على العقل الالكتروني والثورة المعلوماتية القائمة على المعلومات والابداع التقني غير المحدد، دون وضع اعتبار للانظمة والحضارات والثقافات والقيم والحدود الجغرافية والسياسية القائمة في العالم، ويعني سعة المبادلات بين البلدان والمناطق وسرعة انتشار قطاع التمويل والعملات المالية والمعلوماتية والثقافية وكذلك الاسواق المعولمة[٣٣].

بإسقاط منطق الحدود والحواجز الاقتصادية عن طريق العولمة الاقتصادية وباسقاط منطق الجغرافية ومنطق الاراضي عن طريق عولمة الثقافة تنتقل مقومات السيادة الاقتصادية والتكنولوجية بصورة كلية او جزئية الى سلطة القرار السياسي الاقتصادي والتكنولوجي لمؤسسات (برتن وودز) والمؤسسات الدولية الاخرى، كمنظمة التجارة العالمية وغيرها من المنظمات والى الشركات المتعددة الجنسيات ومراكز المنظومة الرأسمالية في المرحلة الاولى في اقتصاد القرن الحادي والعشرين، وكذلك اِلى الشركات المتعددة الجنسيات في المرحلة المتأخرة من القرن الحادي والعشرين[٣٤].

لقد أَدَّت الثورة العلمية والتكنولوجية اِلى تضَخُّم وانتشار نشاطات الشركات المتعددة الجنسيات في العالم ذات الكثافة التكنولوجية والعمل واستعمال الموارد، يضاف الى ذلك أنَّ الفوائض المالية من اليورو الاوربي والفوائض النفطية المدورة قد أدَّتْ الى ظهور المصارف غير الوطنية العالمية التي ساعدت على انتشار الكثير من الشركات

المتعددة الجنسيات، فضلاً عن اَنَّ الشركات هذه اَصبحت ملكيتها جماعية وتعود اِلى اَفراد معدودين، بالاضافة اِلى أنَّ أسهمها تعود اِلى أفراد من جنسيات مختلفة رأسمالية ونامية[٣٥].

لقد كانت العولمة نتاج النشاط الواسع والمترامي الاطراف للشركات متعددة الجنسيات اَو عابرة القوميات المتحللة من القيود والحدود (والتي تعد العالم بأجمعه ساحتها الرحبة لممارسة نشاطها الاقتصادي) واَصبحت تغير المسرح الاقتصادي بطرائق جوهرية يحركها الاندفاع الواسع النطاق صوب تحرير التجارة، وأسواق رأس المال، وزيادة انتاج الشركات واستراتيجيات التوزيع والتغيير التكنولوجي الذي يزيل الحواجز التي تعترض اِمكانيات التجارة الدولية من السلع والخدمات وحركة رؤوس الاموال [٣٦].

<u>الدولة في حاجة الى رجولة الشباب:</u>

استعمل القرآن الكريم كلمة رجال وصفاً للمصطفين الأخيار الذين اختارهم الله من الناس وابتعثهم لقيادة الامم وتحرير الشعوب وهداية الانسانية، وتكرر هذا الاستعمال في عدة آيات من كتاب الله، قال سبحانه :" وما أرسلنا من قبلك اِلَّا رجالاً نوحي اليهم"[٣٧] وساق الكتاب العزيز هذه الكلمة وصفاً للأطهار والأبطال قال تعالى : " فيه رجال يحبون أنْ يتطهَّروا والله يحب المطهرين"[٣٨]. وقال جلَّ شأنهُ : " رجالٌ لا تُلهيهم تجارةٌ ولابيعٌ عن ذكر الله واِقام الصلاة واِيتاء الزكاة يخافون يوما تتقلب فيه القلوب والابصار"[٣٩]. "من المؤمنين رجال صدقوا ماعاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا "[٤٠].

اِنَّ المجتمع بحاجة اِلى رجولة ليحق الحق، ويتمثل الحق في العقيدة الصحيحة، والعلم النافع، والعمل الصالح، والخلق الكريم، فضلاً من الصراع في الحق والباطل ضريم، ودائماً تكون الغلبة للحق،لأنَّهُ الثابت النافع، كما تكون الهزيمة للباطل قال تعالى في كتابه الكريم "قل جاء الحق ومايبدئ الباطل وما يعيد "[٤١] وقال ايضا " بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فاذا هو زاهق"[٤٢] وقال ايضا " قل جاء الحق وزهق الباطل اِن الباطل كان زهوقا " [٤٣].

الرجولة مجموعة من الصفات النفسية والخلقية والعقلية تنسقها و توجهها عقيدة تقدس الحق،وتفنى في سبيله وتعرف الواجب وتنهض لأدائه مهما كلفها من نصب، وتهيم بمعالي الامور وتترفع عن سفافها.وليست الرجولة اِرادة قوية تظلم وتبطش،ولا رحمة رخوة تمالىء في الحق وتجامل على حسابه ولا عقلاً محتالاً يبرر الدنية ويتلمس المعاذير لقبول الهوان والصغار قال تعالى " شرع لكم من الدين ماوصَّى به نوحاً والذي اَوحينا اِليك وما وصينا به اِبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه " [٤٤].

والوصف بالرجولة في القرآن الكريم في هذه المواطن وفي المواقف التي يتوارى فيها الجبناء ليس عفواً، بل هو تعبير مقصود يوحي بمقومات هذه الصفة من جرأة في الحق ومناصرة للقائمين عليه قال تعالى : "وجاء رجل من اَقصى المدينة يسعى قال ياموسى اِنَّ الملأ يأتمرون بك ليقتلوك فاخرج اِنِّي لك من الناصحين"[٤٥] و "وجاء من أقصى المدينة رجلٌ يسعى قال ياقوم اتبعوا المرسلين"[٤٦] وقال سبحانه " وقال رجل مؤمن من آل فرعون يكتم اِيمانه اتقتلون رجلاً ان يقول ربي الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم "[٤٧].

وتتجلَّى الرجولة بأكمل معانيها وصورها الحية في الرجل الاول والنبي الاول والرسول الخاتم محمد صلى الله عليه وسلم،فحياته كلها كانت عنواناً على الرجولة الحقة[٤٨] وهو القائل: "والله لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على اَن اَترك هذا الأمر حتى يظهره الله أو أهلك دونه ما تركته ". وما أشدّ حاجتنا في هذه الظروف التي تتعرض فيها الامة الاسلامية لغزو أقطارنا قطراً قطراً اِلى التذكير بموقف من المواقف الحاسمة للرسول محمد صلى الله عليه وسلم، اعتصم فيه بالحق، فلم ينكص عنه لقلة جنده، ولم يتهيب عدوه لشدة بطشه.

وروى ابن اسحاق عن عبد الله بن عمرو بن العاص انَّهُ حضر قريشاً يوماً وقد اجتمع أشرافُهم في الحجر فذكروا رسول الله فقالوا: مارأينا مثل ما صبرنا عليه من أمر هذا الرجل قط سَفَّه احلامنا وشتم آباءنا وعاب ديننا وفرَّقَ جماعتنا وسب الهتنا ...لقد صبرنا على امرٍ عظيم فبيناهم في ذلك اذ طلع رسول الله فأقبل يمشي حتى استلم الركن ثم مَرَّ بهم طائفاً بالبيت،فلما مَرَّ بهم غمزوه ببعض القول فعُرفَ ذلك في وجهه ثم مر بهم

الثالثة فغمزوه بمثلها فوقف ثم قال: ((أتسمعون يا معشر قريش،اما والذي نفسي بيده لقد جئتكم بالذبح)) فأخذ القوم كلمته حتى ما منهم رجل اِلاَّ كأنَّما على رأسهِ طائر واقع حتى اِنَّ أشدَّهم وصاةً فيه قبل ذلك ليرفؤه، ويلاطفه بأحسن مايجد من القول حتى اِنَّه ليقول: انصرف يا أبا القاسم والله ما كنت جهولاً، وقد غنى تاريخ المسلمين برجال كانوا هامة الشرف وعنوان المجد استعلوا على مغريات المال والجاه والحكم ووقفوا مواقف كان الموت فيها قاب قوسين أو أدنى منهم، فامتدت بهم الحياة وجاءتهم الدنيا طائعة، ولو أنَّ رجولتهم خانتهم فتخلوا عن واجبهم واستسلموا لشهوات السلطات واثروا العافية على مَشقَّات الجهاد وتكاليف العِزَّة والحُريّة،لتغَّيرَ وجه التاريخ وكانوا أُمثولة للاجيال من بعدهم قال تعالى (ولتكن منكم أمَّةُ يدعون اِلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأُولئك هم المفلحون).

ونذكر في هذا الصدد موقف أبي بكر خليفة رسول الله في حروب الرِّدَّة فقد أثارته ردة المرتدين وأغضبته أشدَّ الغضب وهو الرجل الرقيق الوديع، ورفض أنْ يلين ويقبل منهم جزءاً من الاسلام ويتسامح في جزء آخر منه وصمَّمَ على الحرب ولم يقبل اِلاَّ الاسلام كلَّهُ،لم ينقص منه شيء وقد كان هذا الموقف للصديق مفخرته الكبرى التي انفرد بها في تاريخ الدعوة الاسلامية بغير شريك قال تعالى (فاستمسك بالذي أُوحي اليك انك على صراط مستقيم، واِنَّهُ لذكر لك ولقومك وسوف تسئلون) وقال ايضاً (لقد أنزلنا اِليكم كتاباً فيه ذكركم أفلا تعقلون) وقال ايضاً (والذين يُمَسِّكُونَ بالكتاب وأقاموا الصلاة اِنَّا لانُضيع أجر المصلحين).

وقد غنى تاريخ المسلمين برجال كانوا هامة الشرف وعنوان المجد استعلوا على مغريات المال والجاه والحكم ووقفوا مواقف كان الموت فيها قاب قوسين أو أدنى منهم، فامتدت بهم الحياة وجاءتهم الدنيا طائعة، ولو أنَّ رجولتهم خانتهم فَتَخلَّوا عن واجبهم واستسلموا لشهوات السلطات وآثروا العافية على مشقات الجهاد وتكاليف العزة والحرية، لتغير وجه التاريخ وكانوا أُمثولةً للأجيال من بعدهم قال تعالى "ولتكن منكم أُمةٌ يدعون اِلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأُولئك هم المفلحون"[٤٩].

ونذكر في هذا الصدد موقف أبي بكر خليفة رسول الله في حروب الردة فقد أثارته رِدَّة المرتدين وأغضبته أشد الغضب وهو الرجل الرقيق الوديع، ورفض أن يلين ويقبل منهم جزءاً من الاسلام ويتسامح في جزء آخر منه، وصمَّمَ على الحرب ولم يقبل اِلاَّ الاسلام كلَّهُ، لم ينقص منه شيء وقد كان هذا الموقف للصديق مفخرته الكبرى التي انفرد بها في تاريخ الدعوة الاسلامية بغير شريك قال تعالى " فاستمسك بالذي أُوحي اِليك، اِنَّك على صراط مستقيم، واِنَّهُ لذكر لك ولقومك وسوف تسئلون"(٥٠) وقال أيضاً " لقد أنزلنا اِليكم كتاباً فيه ذكركم أفلا تعقلون"(٥١) وقال أيضاً " والذين يُمَسِّكُونَ بالكتاب وأقاموا الصلاة اِنَّا لانُضيع أجر المصلحين"(٥٢).

والرجولة ليست صفة كمال في الفرد، فوجودها وفقدانها فيه لاينقص في شخصيته اِذ هي صفة أساسية فيه والناس اِذا فقدوا أخلاق الرجولة صاروا أشباه رجالٍ غُثَاءٍ. كغثاء السيل، ذبابٍ يتهاوى، طبل اجوف، جعجعة ولا طحن،وقديماً قال العرب: ترى الفتيان كالنخل وما يدرك ما النخل. والامة الاسلامية لا تحتاج اِلى علم،ولا تفتقر اِلى ثروة بقدر ما تحتاج اِلى رجولة وهي لم تؤت من قلة عددها ولا من ضيق رقعتها ولا من جدب أراضيها واِنَّما اَصابها الضعف والوهن ودبَّ فيها داءُ الأُمم من تهالكها على الشهوات وتقاتلها على الجاه والمركز وشيوع الملق والنفاق بن القادة والجماهير على حدٍّ سواء، وأخلاق الرجولة من أساسيات الزعامة الناجحة والقيادة الظافرة فهي تفرض على القائد والزعيم أنْ يفُكِّر في أُمَّتِهِ قبل أنْ يفكر في نفسه، وأنْ يرى المنصب وسيلة للخدمة العامة لا للجاه والثراء وأن يتخلَّى عن مركزه عندما يشعر بأنَّ غيره أقدر منه على حمل العبء والنهوض بالمسؤولية.

وكل فرد في الامة محتاج اِلى هذه الاخلاق مهما كان مستواه الاجتماعي ووضعه الوظيفي والمهني في المجتمع ففي الرجولة متسع للجميع وهي ميدان فسيح تتنافس فيه علماءُ الأُمة وساستها وأُدباؤها ومدرسوها وطلبتها وتجارها وصناعها، واقواهم رجولة اقدرهم على خدمة امته وانفعهم للناس.

دور الشباب في عملية التنمية :

ينبغي اختيار استيراتيجية التنمية الملائمة في ظل الازمات، اِذْ تتعلق التنمية باِطلاق الامكانيات البشرية وتوسيع خيارات الناس، ويرادف هذا حالياً مايصفه أمارتياسين Amartya Sen[٥٣] بعبارة (التنمية هي حرية) اِذْ تعرف الحرية بمعنىً واسعٍ بحيث تشمل الحرية من الجوع، ومن القهر،ومن كل ما يقف عقبة في طريق مشاركة الناس مشاركة تامة بلا عوائق في تشكيل مستقبلهم.

وتتطلب استيراتيجية التنمية بالضرورة اِزالة تدريجية للاحتلال، فهي ببساطة لا تستطيع اِنْ تتعايش معه، فأحدهما ينفي الاخر مالم تنسق بين الاثنين عملية استاضة سلبية وتراكمية[٥٤].

اِنَّ الاسلام من طبيعته الحركة والنشاط، فضلاً عن أنَّهُ يحب لأهلهِ أنْ يحيوا كأقوى ماتكون الحياة، وأن يناضلوا كأشد ما يكون النضال، وأن يكون لهم في كلِّ ميدان عمل حتى تتحقق لهم السيادة والقيادة عن جدارة واستحقاق[٥٥]. وأسلوب الاسلام في الدعوة اِلى العمل متميز لايكاد يضاهيه أويقاربه أيُّ أُسلوب آخر، اِذْ اِنَّ غايته في الحياة هي اِحسان العمل واِتقانه واِظهار المواهب واِبراز القوى الكامنة في النفس الانسانية.

قال تعالى في كتابه الكريم " اِنَّا جعلنا ما على الارض زينةً لها لنبلوهم أيُّهم أحسنُ عَمَلاً. واِنَّا لجاعلون ما عليها صعيداً جرزاً "[٥٦]، وقال تعالى أيضاً " وهو الذي خلق السموات والارض في ستة أيَّام وكان عرشه على الماء ليبلوكم أيُّكُمْ أحسنُ عملا"[٥٧]، وقال أيضاً " ولا ينفقون نفقةً صغيرةً ولاكبيرةً ولايقطعون وادياً اِلاَّ كتب لهم ليجزِيَهم الله احسن ما كانوا يعملون"[٥٨].

وقال النبي محمد صلى الله عليه وسلم ليس الايمان بالتمنِّي، ولكن ماوقر في القلب، وصدقه العمل. واِنَّ قوماً غَرَّتْهم الأماني حتى خرجوا من الدنيا، ولاحسن لهم وقالوا : نحن نحسن الظن بالله وكذبوا، لو أحسنوا الظَّنَّ لأَحْسَنُوا العمل "، وقال عليه أفضل الصلاة والسلام " الكَيِّسُ من دانَ نفسَهُ، وعَمِلَ لِمَا بعد الموت، والأحمق من أتْبَعَ نفسه هواها، وتمنَّى على الله الاماني "، وقال صلى الله عليه وسلم " اعملي يافاطمة : فأنِّي لااُغني عنك من الله شيئاً "، فالاسلام يلون الخطاب في الدعوة اِلى العمل ليستفرغ الانسان طاقته وأقصى جهده فيه[٥٩].

فضلاً عن أنَّ الامر المؤكَّد من اختيار استيراتيجيات التنمية الملائمة ليس شأنا مستقلا عن الرؤية الكلية لمستقبل الاقتصاد والمجتمع والسياق الذي يُحِّددُ الاسوار الخارجية التي تقدر الحدود والقوى التي تشكل الحاضر والميراث الكامل للماضي من دون فقدان البصيرة بالاهداف الطويلة الأجل للتنمية(٦٠). وعليه يجب الأخذ بنظر الاعتبار منطق العولمة الذي يقوم على استيعاد الشعوب معينة بزعم الانغلاق والشمولية وعدم التسامح ورفض الاندماج في التقاليد والقيم الامريكية وأسلوب الحياة الذي تسعى الولايات المتحدة الامريكية لعولمته.

يضاف الى ذلك أنَّ العولمة لا تسعى لتفاعل الثقافات والافراد والمجموعات الاجتماعية والشعوب، وإنَّما الضغط لافسح المجال لنفاذ التدفقات الامريكية من سلع ومواد اِعلامية دون تحقيق امكانيات التواصل الثقافي والمشاركة بدل الالحاق والاقصاء الثقافي عبر الاحتكارات العالمية الهائلة التي تسعى للسيطرة على الشعوب والبلدان الأخرى وغزو أُسواقها والهيمنة على مقدراتها القومية ساعية لمسخ ثقافتها عبر تفكيك القوميات والهويات والاقتصاديات واِعادة البناء على أساس سيطرة السوق وتقديس الاستهلاك الترفي والمضاربات.

استغلال أوقات الفراغ:

الفراغ بمعنى خلو اليد من العمل الجاد، وخلو العقل من الفكر الباحث هو الضياع الذي ليس بعده ضياع والفراغ بمعنى الاعتماد على الغير في كل عمل يحتاج اِليه مع القدرة على الاستقلال به، أو المشاركة في اِنجازه، والفراغ بمعنى تعطيل المواهب وقبر القدرات،اكتفاءً بمواهب الناس وقدراتهم، هو الداء العياء والمرض العضال.والفراغ بمعنى الوقوف عند حدٍّ من الكسب، أو حد من الخبرة مع الفسحة في العمر والقدرة على المزيد والتجديد، هو الزهد الكاذب والنقص الكبير.

والفراغ بمعنى انقضاء العمر يوماً فيوماً وعاماً فعاماً دون سعي اِلى تحصيل علم، أو اكتساب خبرة استناداً اِلى حسب أو نسب،أو اكتفاءً بمالٍ موروثٍ هو التسول الحقيقي والفقر المشين.و يتزايد وقت الفراغ باستمرار العمل نتيجة لارتفاع كفاءة العمل

والصناعة، وبالأخصّ نتيجة للزيادة المطَّرِدة في استخدام الآلات. ويتيح وقت الفراغ المتزايد وقتاً يصلح للقيام ببعض ألوان النشاط مثل تعليم المهارات للشباب(٦١).

والانسان الفارغ المكفى الطاعم الكاسي كيف يستطيب الحياة أو يجد لها طعماً، وهو لا يبذل جهداً ولا يُغِّبرُ قدماً ولا يَكِدُّ ذهناً. كيف يكسب احترام الناس وثقتهم من يعيش عالة على سواه يأتيه رزقه رغداً من كل مكان لا لكفاية نادرة، ولا لموهبة خلاّقة، ولكَّنُه لانَّهُ الحسيب النسيب ابن الأُصول والأسياد. اِنَّ العربي القديم بفطرته الصافية وطبيعته السوية، وتقديره الصحيح لقيمة الوقت أبى أنْ يمنح الفارغ المكفي احترامه وتقديره،بل سقطه من حسابه، ولم يعده في عداد الرجال،ولم يعول عليه في النهوض لكريهة أو تحصيل مكرمةٍ أو الدفاع عن حمىً بل امتهنه وشهَّرَ به في شعره السائر

دع المكارم لا ترحل لبغيتها واقعد فانك انت الطاعم الكاسي.

وثمة مشكلة اساسية تتعلق بوقت الفراغ وفي تعريفه، وهل يعني وقت الفراغ الوقت الذي نستطيع فيه أنْ نقوم بأيِّ عمل نريد ؟ هل وقت الفراغ هو هدف كل عمل كما أشار آرسطو بذلك؟ هل هو الفرص التي تتاح للناس كي يقوموا بمناشط لا تتطلبها ضرورة الحصول على الطعام، أومأوى، أو ملبس ؟ ماهي المعاني المتنوعة التي يتسم بها وقت الفراغ.

هذا الفراغ الذي يعيشه الفارغون بلا قيود ولا حدود أخطر ما يكون على حياة اصحابه وحياة المجتمع الذي يَضمُّهم ويؤويهم لأنَّهُ يسوقهم اِلى الانحراف والفساد واِشباع النزوات، وبهذا الانحراف والفساد يخربون بيوتهم بأيديهم ويُدمِّرون حياتهم ويقتلون انفسهم بأنفسهم وما يقبل انسان حرٌّ يُحِسُّ بوجوده ويشعر بشخصيته ويتفهم رسالته في الحياة أنْ يعيش واهن العزم منحلَّ الارادة، خائر القوى يكفيه من دنياه أنْ يطعم اطيب الطعام، ويلبس أرفه الثياب ويركب أرفه المراكب ينتقل من الظلّ اِلى الشمس شتاءً ويتحول عن الشمس الى الظلِّ صيفاً ويظلُّ يدور حياته كلها في هذا المدار.

قد يكون من المتوقع أنَّ زيادة وقت الفراغ ستؤدى اِلى حياة ثقافية أرقى لغالبية الناس، وقد أوضحت الدراسات المقارنة في شغل وقت الفراغ أنَّ الارتفاع في المكانة

الاجتماعية، أو الدخل، أو قلّة ساعات العمل وزيادة الاحساس بالأمن، لاتُؤدِّي بالضرورة اِلى الاهتمام بمستويات ثقافية عالية(٦٢).

اِلَّا أنَّ هذه العقول الفارغة والنفوس المغلقة والحواس المعطلة والمواهب المطموسة، أوعية للتأخُّرِ والجمود والهوان،ولندع هؤلاء الذين منحوا أنفسهم اِجازة تفرُّغٍ للراحة طول الحياة فهم فارغون دائماً لايسترحون اِلاَّ من عناء الراحة لندعهم وشأنهم وكان الله في عونهم و عون أُمَّتِهم اِلى فريق آخر يعمل ولكنه لا يعمل طول وقت العمل ولا نصفه،أو انقص منه قليلاً، وينتج ولكنك لو حسبت ما ينتجه من العمل، وما يصرف من الوقت لراعك مقدار الزمن التالف والوقت الضائع.

وايّا كان السبب في هذا:التضخم الوظيفي بلغة دواوين الموظفين ومجالس التخطيط وأدارات الاحصاء واِسناد عمل الوحد اِلى الثلاثة او الأربعة أو عدم كفاءة الموظف للعمل لأنَّهُ وضع في المكان غير المناسب او حالته النفسية واحساسه بالغبن الواقع عليه لعدم تقديره وانصافه، او الاستخفاف بالمسؤولية وعدم المبالاة والامان من الحساب والمجازاة لأنه مسنود محسوب... أيَّاً كان السبب فيوجد فراغ كبير لا يملؤه عمل ولا يسده اِنتاج، هناك طاقات ضخمة مهملة وقوىً كبيرةٌ ضائعة،وثروة طائلة مبددة ومصالح كثيرة معطلة.

فاذا لم يقترن الارتفاع في مستوى المعيشة باستثارة الرغبة في الوصول اِلى بعض المستويات الثقافية واكتساب قيم تحدد استخدامنا لوقت الفراغ، فاِنَّ وقت الفراغ المتاح قد يُؤَدِّي الى الملل والتفكك الاجتماعي العام، وَثمَّة دلائل تشير اِلى أنَّ المجتمع الصناعي الحديث قد أصبح عاجزاً عن تكوين قيم جديدة قد تشكل بفاعلية عملية القيام بالعمل وشغل وقت الفراغ في اِطار عام متكامل، فاِذا راقبنا الموظفين في مكاتبهم ومواقع عملهم تجد مظاهر هذا الفراغ كثيرة ومتنوعة، تجد الكثير منهم ليس لديه عمل يشغل وقته فيه ولهذا يبحث عن الاساليب والوسائل المختلفة لشغل هذا الفراغ.

تجده يُضَيِّعُ وقت العمل في طعام خفيف يتناوله و قهوة او شاي يشربه وصحيفة او مجلة يُقلِّب صفحاتها وفي استقبال صديق يقضي معه الساعات الطوال في حديث، او في محادثة تلفونية لا تمتُّ لمصلحة العمل بصلة، فاذا استنفذ هذه الوسائل والاساليب

انتقل الى مكتب رئيسه يتملقه ويتزلف اليه ويشكو له كذباً من كثرة العمل او عرج على زميل له يشغله عن عمله وليس هذا قصرا على حملة الاقلام واصحاب المكاتب، بل لو راقبت قاطع الاشجار في طريق من الطرق لوجدت أنَّهُ يقطع في الساعات الطوال ما يستطيع أنْ يقطعه في ساعة واحدة وبقية الوقت فراغ في فراغ وضياع في ضياع.

اِنَّ الشخصية الانسانية تميل اِلى الانحلال، كذلك تميل المجتمعات الى التفكك، ويستطيع الاسلام أنْ يقوم بدورٍ حاسمٍ في المجتمع نحو تحقيق اكبر قسط من التكامل بين العمل ووقت الفراغ بقصد تحسين انماط الحياة وتقوية العلاقات المجتمعية.

وبجانب طبقة عالية من موظفين كبار سابقين لهم كفايتهم ولهم خبرتهم ولكنهم لا يعملون، ولا ينتجون، ولا يشغلون أنفسهم بعمل ما في انتظار تحوُّلِ الأحوال وتغير الاوضاع وانتهاز الفرص لتحقيق الحلم اللذيذ والعودة اِلى المنصب المرموق.

ولو تجاوزنا وقت العمل الرسمي اِلى بقية اليوم وحسبنا كم يمضي من الوقت في الجلوس في المقاهي والتردد على الاندية والسهر في المسارح والسينما واللف والدوران على الملاهي والمراقص، لو فكرنا في هذا الوقت الضائع لوجدنا فراغاً كبيراً لا يستفيد منه الفارغون في عقلهم او جسدهم ولا تستفيد منه الأُمة عملاً نافعاً يزيد من انتاجها ويضاعف من قوتها مئات الالآف من الساعات تضيع من عمر الأمةً في يوم واحد، ليس فيها عمل لا للدنيا ولا للآخرة وليس فيها رياضة بدنية ولا رياضة عقلية[٦٣].

وهناك أسئلة أُخرى يجب أنْ تثار فيما يتعلق بوقت الفراغ، هل يمكن عَدّ الترويح ذا صبغة علاجية لوقاية الناس من الوقوع في المتاعب ؟ أو هل يمكن استخدامه عاملاً ناجحاً في تنمية الشخصية والقيم الاخلاقية وتدعيم السعادة الانسانية ؟ ما هي العلاقة بين العمل ومعنى وقت الفراغ في مجتمع كبير، ما هو دور القيادة في تحديد وسائل شغل وقت الفراغ، وتقييم الأذواق والمهارات وتنمية الموارد وتكوين الاهتمامات من اجل التمثيل الثقافي وغير ذلك من خبرات فردية واجتماعية مشبعة ؟ ماهي العلاقة بين الاهتمامات المهنية والتوافق بين الفرد وعمله والاغراض المرجوة من شغل وقت الفراغ ؟ ماهو دور ومسؤلية تعليم الكبار بالنسبة لهذه الاسئلة ؟ يجب دراسة هذه الاسئلة وغيرها كي تعطينا افضل فكرة عن وقت الفراغ ودوره [٦٤].

وهناك الوان كثيرة من اللهو، وفنون من الرياضة أقرَّها الاسلام ترويحاً عن النفس وتجديداً لنشاطها وترويحاً عن القلوب وجلاء لهمومها، هناك السباحة والرماية والفروسية، ومن مأثورات عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) :(علموا أولادكم السباحة والرماية ومروهم فليثبوا على ظهور الخيل وثباً) وقال عليه الصلاة والسلام : (عليكم بالرمى فانَّهُ ليس من اللهو) وقال (كُلُّ شيءٍ ليس من ذكر الله فهو لهو اِلا أربع خصال : مشى رجل بين الغرضين (للرمى) وتأديبه فرسه وملاعبته أهله وتعليمه السباحة) وهناك الصيد وهو رياضة ومتعة وكسب : صيد البر بالنبال والرماح والجوارح كالكلاب المعلمة والصقور، وصيد البحر.

وما اجملها من جلسة على الشاطئ تؤخذ فيها النفس بزرقة المياه وتموجها وحركتها، وهناك الرحلة بين السهول الفسيحة والوديان الجميلة والينابيع الساحرة والجبال ذات الالوان البديعة وهناك القراءة، والكتاب هو المسامر الذي لايمل والجليس الانيس والصديق المخلص ومصاحبة الكتب تملأ النفوس بهجة والعقول معرفة والقلوب نورا.

الاراضي الخصبة المترامية مهملة ومعطلة،وفي حاجة الى مشروعات وأيدٍ تعمرها وتستنبتها الثروات الطبيعية المخبوءة في باطن الارض ضخمة وفي حاجة الى عقول وجهود لاستخراجها الامية والجهالة نسبتها مرتفعة وفي حاجة الى كتائب لمحوها وازالتها. وكذلك التخلف العلمي والصناعي والثقافي في حاجة الى من يتَصدَّى لِانقاذنا منه.

ومع الصيف يحس العاملون بحاجتهم الماسة الى الراحة من العمل والتخفُّفُ من المسؤوليات، والترويح عن النفس فيصيفون في الاماكن التي يلطف جوها ويطيب هواؤها ويهرعون اليها ويقضون فيها مدة الحر ومدة الصيف، ومع الصيف تغلق المدارس والمعاهد والجامعات أبوابها، ويفرغ الاساتذة والطلاب من الدراسة وتحصيل العلم ويطوون الكتب ويدعون الكراسات ويرتحلون مع اهليهم وذويهم الى شواطئ البحار وأماكن الاصطياف وتستغرق مدة الفراغ في الصيف ثلاثة أشهر وتزيد أو تنقص قليلاً فكيف تقضي هذه المدة التي تقرب من ربع العام من حقهم أنْ يُرَوِّحوا عن انفسهم، ولكن ليس من حقِّهم ولا من صالحهم أنْ يقضوها في فراغ مهمل او لهو مفسد.

التوصيات:

لقد خرج البحث بالتوصيات التالية:

١. تشغيل الشباب في اوقات العطل في مشاريع اقتصاديه تدرُّ عليهم بالاموال.
٢. اِيجاد فرص العمل العديدة في مختلف شؤون الانتاج لاستيعاب الملايين من العاطلين عن العمل.
٣. استثمار هوايات الشباب في مختلف شؤون والحقول وذلك بايجاد النوادي التي تحتوي على مختلف الانشطة من خط ورسم وزخرفة وكومبيوتر وما اشبه ذلك.
٤. الاهتمام بذوي الكفاءت العلمية بايجاد معامل مصغرة ومختبرات تجريبية في مختلف الشؤون العلمية من كهرباء وميكانيك.
٥. اِيجاد الفرق الرياضية المفيدة والعمل على تشجيع المسابقات الرياضية بين فرق الشباب كفن السباحة والسباق والرماية.
٦. التوجه الى حل المشاكل الاجتماعية للشباب وتوفير الوسائل المادية للزواج وتسهيل امره من خلال اقامة لجان للتزويج والتسهيل في نفقات وبرامج الزواج.
٧. اِشاعة الاخلاق الاسلامية والفضيلة والتقوى في المجتمع لأنَّ الاخلاق السامية من اهم اسباب الوقاية.
٨. التزام الآباء والامهَّات بالاخلاق والفضيلة والتقوى ليكونوا نموذجاً عملياً صادقاً للاولاد.
٩. تطبيق القواعد الاخلاقية والقوانين الاسلامية في المجتمع كالصدق والمساواة والايثار وحسن الخلق والتعاون على البِرِّ والامر بالمعروف والنهي عن المنكر.
١٠. اشاعة روح الشورى في المجتمع ومكافحة روح الاستبداد والطغيان والديمقراطية.

الهوامش والمصادر التي وردت في البحث:

١. سورة النور، آية ٣٧.
٢. سورة التوبة، آية ٩٤.
٣. سورة الاحزاب، آية ٧٢.
٤. سورة الاحقاف، آية ١٩.

٥. سورة الزلزلة، آية ٧-٨.
٦. سورة البقرة، اية ١٨٦.
٧. عبد المنعم سعيد، النظام الدولي بين النهوض والاستقرار، التقرير الستراتيجي العربي، مركز الدراسات السياسية والستراتيجية باللاهرام، القاهرة، ١٩٩٤، ص٢٤.
٨. د. رواء زكي يونس الطويل، جدوى استيراد الالكترونيات، مؤتمر الاقتصاد السادس، التجارة الخارجية ومستقبل التنمية، ١٦-١٨ تشرين الاول ٢٠٠١، قسم الاقتصاد في كلية الاقتصاد والعلوم الادارية، جامعة اليرموك، اِربد، الاردن، ٢٠٠١، ص٤.
٩. جلال امين، العولمة والدولة، مجلة المستقبل العربي، العدد ٢٢٨ بيروت، لبنان، ١٩٩٨، ص٢٧.
١٠. اِسماعيل صبري عبد الله، الكوكبة، الرأسمالية ما بعد الامبريالية، المستقبل العربي، العدد ٢٢٢، بيروت، ١٩٩٧، ص١٥-١٦.
١١. د. رواء زكي يونس الطويل، الحصانة في مواجهة العولمة وعصر المعلوماتية، مجلة المفكر الاسلامي، منظمة المؤتمر الاسلامي الشعبي العالمي، العدد الثاني، السنة الاولى، العراق، ٢٠٠٢.
١٢. ألفن توفلر، موجة الحضارة الثالثة، ترجمة عصام الشيخ قاسم، الدار الجماهيرية للنشر، ط١، بنغازي، ١٩٩٠، ص٣٥٢.
١٣. روبرت هيليروز، رأسمالية القرن الحادي والعشرين، ترجمة كمال السيد، مركز الاهرام للترجمة والنشر، ١٩٩٥، القاهرة، ص٦٠.
١٤. احمد محفوظ بيه، العولمة وتداعياتها على الوطن العربي، مجلة المستقبل العربي، العدد ٢٩٥، ٢٠٠٣، ص١٦٠-١٦٧.
١٥. د. خير الدين شريف العمري، علم النفس والتمريض العقلي، ط١، مطبعة الجمهور، موصل، العراق، ١٩٧٤، ص١٤.
١٦. تمتد المرحلة الاولى من ١٥ الى ٢٢.

١٧.تبدأ المرحلة الثانية من ٢٢.
١٨. مليحة عوني القصير، د. صبيح عبد المنعم احمد، علم اجتماع العائلة، مطبعة جامعة بغداد، العراق، ١٩٨٤.
١٩.محمود حافظ مصطفى، الانسان والبيئة والتنمية، القاهرة، مصر، ١٩٧٢.
٢٠. حامد عبد السلام زهران، علم النفس الاجتماعي، دار الهنا للطباعة، ط٥، القاهرة، ١٩٨٤.
٢١. د. كمال دسوقي، الاجتماع ودراسة المجتمع، مكتبة الانجلو مصرية، القاهرة، مصر، ١٩٧١.
٢٢. د. السيد عبد المولى، اصول الاقتصاد، دار الفكر العربي، مكتبة الحقوق، جامعة القاهرة، مصر، ١٩٧٥، ص٢١٠.
٢٣. د. عادل عبد الحسين شكارة، دور الشباب العربي في التنمية الاجتماعية والاقتصادية، مجلة كلية الآداب، العدد ٣٤، جامعة بغداد، العراق، ١٩٨٦.
٢٤. د. عبد اللطيف العاني، مليحة عوني، د.معن خليل، المدخل الى علم الاجتماع، جامعة بغداد، العراق، ١٩٩٠.
٢٥. د. محي الدين حسين عبدالله الطائي، العولمة واشكالية الثنائية (اقتصاد –دولة)، مجلة دراسات اقتصادية، بيت الحكمة، العدد الاول، السنة الثانية، العراق، ٢٠٠٠، ص٢٩–٣٦.
٢٦.د.رواء زكي يونس الطويل، العولمة واختراق المجتمع الاسلامي، مجلة المفكر الاسلامي، منظمة المؤتمر الاسلامي، العدد الرابع، السنة الاولى، بغداد، العراق، ٢٠٠٢.
٢٧.د.عبد علي كاظم المعموري، العولمة :محاولة الرأسمالية للتكيف مع ازمتها، كلية الادارة والاقتصاد جامعة بابل، العراق، ٢٠٠٠، ص١٨.
٢٨.د.رواء زكي يونس الطويل، اتجاهات التطور التقني الالكتروني في الدول العربية والنامية، مجلة كلية العلوم الاساسية، جامعة الموصل، ٢٠٠٥، ص١١.

٢٩.ابراهيم العيسوي، التصنيع: طريق النماء ام طريق الشقاء، نشرة الرباط، الجمعية العربية للبحوث الاقتصادية، العدد ١٢، ١٩٩٨، ص١.
٣٠.د. عدنان ياسين، التنمية الاجتماعية في العراق: المسارات والآفاق، مجلة المستقبل العربي، العدد ٢٩٥، بيروت، لبنان، ٢٠٠٣، ص٦٩.
٣١.باسل جودت الحسيني، السياسات الاقتصادية في العراق: الواقع الراهن مع نظرة مستقبلية، مجلة المستقبل العربي، العدد ٢٩٥، لبنان، بيروت، ٢٠٠٣، ص٨٨-١٠٢.
٣٢.كيمبرلي أن البوت، ترجمة محمد جمال امام، عرض خالد الفيشاوي، الفساد والاقتصاد العالمي، العربي، ٥٣٩، الكويت، ٢٠٠٣.
٣٣.حلباوي يوسف، الثقافة في الوطن العربي مفهومها وتحليلها، ٢١، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ١٩٩٢.
٣٤.حتي. ناصيف، العرب وثورة التناقضات، مجلة المستقبل العربي، العدد ٢٠٠، بيروت، ١٩٩٥، ص١٢.
٣٥.الطويل. رواء زكي يونس، العولمة ونقل التكنولوجيا، مصدر سابق، ص٩٤.
٣٦.الجميلي. حميد، الهيمنة الامريكيةواقتصاد القرن الحادي والعشرين، شؤون سياسية، العدد ٥، السنة الثانية، ١٩٩٧، ص٨٩.
٣٧.سورة يوسف، اية ١٠٩، سورة النحل، اية ٤٣، سورة الانبياء، اية ٧.
٣٨.سورة التوبة، آية ١٠٨.
٣٩.سورة النور، آية ٣٧.
٤٠.سورة الاحزاب، آية ٢٨.
٤١.سورة سبأ، آية ٤٨-٤٩.
٤٢.سورة الانبياء، آية ١٨.
٤٣.سورة الاسراء، آية ٨١.
٤٤.سورة الشورى، آية ١٣.
٤٥.سورة القصص، آية ٢٠.

٤٦.سورة يس، آية ٢٠.

٤٧.سورة المؤمنون، آية ٢٨.

٤٨.رضوان البيلي، الرجولة، مجلة الوعي الاسلامي، ٧، ٨٣، الكويت، ١٩٧١، ص٤.

٤٩.سورة ال عمران، آية ١٤٠.

٥٠.سورة الزخرف، آية ٤٣-٤٤.

٥١.سورة الانبياء، آية ١٠.

٥٢.سورة الاعراف، آية ١٧٠.

53 Amartya Sen, Development as Freedom ,New York, Oxford University press, 1999.

٥٤. عاطف قبرصي، استراتيجيات التنمية في ظروف الازمات، قسم الاقتصاد، جامعة ماك ماستر، كندا، ٢٠٠٣، ص.٤٦

٥٥. السيد سابق، عناصر القوة في الاسلام، جامعة الازهر، دار الكتاب العربي، ط٢، بيروت لبنان، ١٩٧٨، ص.١٦٢

٥٦. سورة الكهف، آية ٧-٨.

٥٧. سورة هود، آية ٧.

٥٨.سورة التوبة، آية ١٢٠-١٢١.

٥٩.السيد سابق، مصدر سابق، ص.١٦٤

٦٠.علي قادري، اِعادة بناء العراق، قسم التحليل الاقتصادي، اللجنة الاقتصادية والاجتماعية لغرب اسيا، ٢٠٠٣، ص.٤٧

٦١.جان لندن، العوامل الاجتماعية التي تؤثر في تعليم الكبار في المجتمع، مطابع دار الكاتب العربي، القاهرة، ١٩٦٨، ص.٥٦

٦٢.ولبر هالتبك واخرون، المجتمع وتعليم الكبار، مطابع دار الكاتب العربي، القاهرة، ١٩٦٨، ص٥٧.

٦٣. رضوان البيلي، مشكلة الفراغ، مجلة الوعي الاسلامي، ٨، ٨٩، الكويت، ١٩٧٢، ص.٤

٦٤. انيس عبد الملك، مراجعة اللواء سيد عبد الحميد مرسي، سلسلة العلاقات الانسانية رقم ٢٩، طبع بمطابع دار الكتاب العربي، القاهرة، ١٩٦٨، ص٥٨.